

انتشرت المسيحية في اوربا بعد الميلاد  
بقرون ودخلت الشعوب الاوربية تحت مظلة  
الدين المسيحي وضمن مذهب واحد عن ايمان  
حقيقي ربما بلغ درجة التزمت، غير ان الذي  
حدث لاحقاً أثر في صلابة وقوة ايمانهم  
بسبب البدع والهراطقات والتفاسير المختلفة  
المتباينة عن شخص وطبيعة المسيح  
والاناجيل ومكانة مريم العذراء في الايمان  
المسيحي والاجتهادات التي ظهرت  
وانتشرت بين المسيحيين هذه الامور وغيرها  
كان لها التأثير المباشر في الانقسامات  
والانشقاقات التي حدثت في جسد الكنيسة  
الواحد الموحد، هذه من ناحية وتصرفات  
واعمال وافعال رجال الدين او القائمين على  
ادارة الكنيسة وراثستها تلك التصرفات  
التي كانت بعيدة كل البعد عن جوهر  
المسيحية ومنافية لمبادئها من ناحية اخرى،  
هذه الامور كلها كان لها التأثير المباشر على  
قوة الايمان لدى الانسان الاوربي ومدى  
ارتباطه بالكنيسة ولاشك كانت لهذه الامور  
علاقة بحركة الاصلاح الديني التي حدثت  
والتي كانت بمثابة ثورة على الكنيسة في  
القرون الماضية. فهل يا ترى كان هناك خلل

# حركة الاصلاح الديني... الاسباب والنتائج ومتطلبات اليوم....!

بقلم /

الكاتب والاديب الكلداني  
ابلحد افرام ساوا

هذه التصرفات وهذا السلوك المشين المنافي لمبادئ المسيحية. نحن نعلم بان الانسان بطبيعته له نزعة الهيمنة والتسلط وتبوء المواقع الامامية في المجتمع ولكن لو كانت هذه الامور تليق بعامية الناس فانها لا تليق برجال الدين الذين نذروا انفسهم لخدمة الرب وكنيسته وخرافه والذين من المفروض بهم ان يكونوا مجردين عصامين مثالين بالاستناد الى مبادئ الدين المسيحي لكي يصبحوا قدوة للعلمانيين بحق وليس حجار معثرة في طريقهم، والا كان الافضل بهم عدم سلك هذا السبيل ولكنهم طالما سلكوه وارتكبوا المنكر بحق تعاليم المسيح كان الافضل لهم لو لم يولدوا او يعلق في رقبتهم حجر الرحى ويرموا في اعماق البحار، وهذه ليست اقوالى انما هي اقوال سيدنا المسيح كما يعلمون هم بانفسهم، المسيح الذي جاء باعظم المبادئ الانسانية والتي اصبحت حتى بعد حركة الاصلاح الديني اهم مرجع للقوانين ومبادئ حقوق الانسان في العالم كله بضمنه الشعوب التي لا تدين بالمسيحية اضافة الى مبادئ العفو والتسامح والتواضع ونكران الذات وحب الاخرين والاحسان والنظر الى البشر جميعاً نظرة واحدة بغض النظر عن دينهم

في المبادئ الدينية حاشا يستوجب الاصلاح؟ ومن ثم من كان مخولاً باجراء الاصلاح المنشود؟ الحقيقة ان حركة الاصلاح لم تأت بمبادئ دينية جديدة، انما الذي حدث كان وضع حد لسلطة رجال الكنيسة وصلاحياتهم، اذ كان هؤلاء قد نبذوا خصال الرسل من الوداعة والتواضع والتسامح والايمان الحقيقي بمبادئ الدين وتحولوا الى اناس متسلطين دكتاتوريين قساة لا يعرفون الرحمة والشفقة يأمرون وينهون، يحللون ويحرمون حسب مزاجهم، فاصبح كل كاهن او مطران في منطقته ملكاً وحاكماً لا بل امبراطوراً يأمر ويصدر القرارات الجائرة والقاسية، وما كان على الناس البسطاء الا الطاعة العمياء والا تلقوا ما لم يكن في الحسبان، وبات رجال الدين حينئذ لا يميزون بين الامور الدينية التي كانت من اختصاصهم وبين الامور الدنيوية التي لم تكن تعنيهم، وبعد ان هيمنوا على المجتمع اخذوا يسجنون ويحاكمون ويعاقبون ويقتلون وينفون ويحجزون وفق رغباتهم، ومن ثم اخذوا يستولون على الاملاك والعقارات باسم الكنيسة وبذلك تحولوا الى اقطاعيين كبار ونسوا تعاليم وتوجيهات سيدنا المسيح الذي كان يحذر رسله من هذه الامور ومن

هو معلوم كان الخاسر الاول والاخير المسيحية لفقدانها الالوف من ابنائها وابتعادهم عنها ان لم يكونوا بالملايين، رغم ان المسيحية لم تكن لتقبل بمثل تلك التصرفات والحصل المشينة البعيدة كل البعد عن روح مبادئها السماوية، ان المسبيين في ذلك كانوا رجال الدين انفسهم وليس العلمانيين، وكان تأثير ذلك على الكنيسة الكاثوليكية بالذات كبيراً فعدا تراجع الناس عن الايمان اتبع الكثير من ابناء الكنيسة الكاثوليكية المذاهب الاخرى كرد فعل. ان ما حدث في القرون الوسطى في اوربا يحدث اليوم لدينا وفي كنيستنا بالذات مع فارق نوعي لأن العصر الحالي يختلف عن العصور الوسطى في جوانب عديدة، وانا اذ اكتب هذه الاسطر انما اخص بالذكر الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية التي انتمي اليها لأنها التي تهمني دون غيرها من منطلق الحرص والايمان ، ولأنني اتألم عندما ارى ما حدث في القرون الوسطى في الكنيسة الاوربية يتكرر في كنيستنا ويفعل القائمين على ادارتها الذين يمارسون اعمالاً لا تمت بأية صلة بالكنيسة ولا بالدين المسيحي، لقد ابتعد العديد من رجال الدين الكاثوليك الكلدان عن

ولونهم وجنسهم ونبذ القوانين البالية الجائرة والثأر كالعين بالعين والسن بالسن وتحريم القتل والكثير من الممارسات التي كانت تنال من كرامة الانسان. ان هذه المبادئ السامية العظيمة تركها البعض من رجال الدين وزاغوا عن الطريق المستقيم وسلكوا سبلاً بعيدة كل البعد عن الطريق الذي رسمه المسيح بدمه، فحولوا الكنائس من ملاجئ لأناس يقصدونها للصلاة ولتأجاة ربهم طالبين منه الرحمة والعون ورضاه وللتعلم والتثقف الى اماكن مرعبة مخيفة تصدر فيها القرارات الجائرة والعقوبات القاسية بحق كل من لا يطيعهم او لا يلبي طلباتهم، هذا فيما يتعلق بعامه الناس اما بخصوص من كان يأتي بأفكار علمية خارج دائرة ادراكهم او مخالفة لأرائهم فالويل كل الويل له فكم من عالم مبدع حوكم من قبلهم من امثال غاليلو؟ وكم من فيلسوف أهين وعذب على ايديهم؟ وكم من اديب كبير ذاق مرارة حكمهم؟ ونتيجة هذه الممارسات ضاق الانسان الاوربي ذرعاً ونفذ صبره ولم يبق له مجالاً للتحمل، فما كان منه سوى التمرد والعمل من اجل التخلص من مظالمهم او تصحيح مسيرتهم وتحديد سلطة الكنيسة وصلاحيات القائمين عليها. وكما

وللأسف الشديد ليس بصائب وهو رأي الضعفاء الذين لا حرص لهم على كنيستهم ولا على قوميتهم لأن مسألة الدين لا ترتبط بهم فقط والمحافظة على العقيدة من التشويه ليست فقط من مهام رجال الدين ممن هم على هذه الشاكلة انما هي مسؤولية كل مؤمن حريص على مسيحيته ومذهبه كما ويجب على ابناء امتنا وكنيستنا ان يعلموا بان رجال الدين غير معصومين ومسألة القومية والتسمية الكلدانية والوجود الكلداني القومي العريق الذي يحاول البعض من هؤلاء نفسه وطمسه ربما بدوافع مصلحة وارتباطاتهم بهذه الجهة او تلك تجعلهم يفعلون ذلك وهذا مالا تسمح به قطعاً، واذا يقول البعض ما لنا ولهم في المجال الديني الكنسي فهذا لا يمكننا قبوله في المجال القومي والسياسي لأنه بعيد كل البعد عن مهامهم ولأن الامر يتعلق بمصيرنا وبوجودنا وبهويتنا القومية لذا فعلى كل كلداني شريف ومخلص لكلدانيتته ان يرفض هذه الاعمال وهذه المواقف ويوقف اي شخص او جهة تتآمر على الكلدان او تحاول زعزعة وجودهم القومي وان يقول لهؤلاء كفا لقد تجاوزتم الحدود ومجال اختصاصكم لقد قبل

مهامهم الدينية والكنسية واخذوا يتدخلون في امور دنيوية وسياسية لا تعنيهم وليس من واجبهم التدخل فيها ولا تليق بهم كرجال دين فكما هو معلوم للسياسة أوجه عديدة وفيها ما هو مبطن وما هو معلن وفيها المراوغة والتكتيك وعدم الشفافية واللف والدوران كما يقال بالعامية ووفق الظروف وبموجب ما تتطلبه مصالح الكيان السياسي وهذه كلها تتقاطع مع سلوكية رجل الدين الحقيقي فلا يوجد في السياسة ما نستطيع تسميته بالوصايا العشر لنقدسها ولنلتزم بها حرفياً، فكيف يقوم رجل الدين بمناقضة مبادئ الدين التي يقدسها وينادي بها والتي نتيجة ايمانه بها سلك هذا المسلك لكي يرسخ الايمان بها في المجتمع، لم يكتف بعض رجال الدين الكاثوليك الكلدان باهمالهم لواجباتهم الدينية بل راحوا يبيعون كلدانيتهم بأبخس الاثمان، هذه التسمية التي تحملها كنيستنا منذ ميلادها لا سيما في بلادنا دون اعطائهم قيمة لأية اعتبارات قومية او اجتماعية او دينية فهل يا ترى هم بحاجة الى ذلك ام هناك سر خلف عملهم هذا؟ يقول البعض من ابناء امتنا وكنيستنا ما لنا ولهم فهذا شأنهم منذ عهد بعيد فليفعلوا ما يشاءوا...! لكن رأيهم هذا

الازمنة..! كما وليس بإمكان احد ان يقوم بمهمتين متناقضتين في آن واحد لا بل وكما يقول الرب لا يمكن للأنسان ان يعبد رين. لذا اقول اختاروا رباً واحداً فقط لكي تكرسوا له ولخدمته انفسكم. أستم انتم ومنذ زمن طويل السبب في ضعف المشاعر القومية لدى الكلدان؟ لماذا لا تأخذوا العبرة من بني جلدتكم وكنيستكم في شقها الثاني النسطوري الذين يقصدون تسمية اتخذوها لهم او فرضت عليهم كتسمية قومية قبل قرابة قرن من الزمن ولا صلة عرقية لهم بها اصلاً في حين انكم تنتمون الى عرقكم عن اصالة وعلى مدى التاريخ ولم تكتفوا باضعاف مشاعرهم الدينية ايضاً فاي درس يتعلمه العلمانيون منكم في هذه الحالة؟ وكيف سيسمعون كلامكم وانتم تفعلون ما تنصحون الاخرين بعدم فعله، أستم من ينطبق عليهم قول سيدنا المسيح (يقولون ما لا يفعلون ويحملون الاخرين النير الثقيل) انا لا بل وانتم والاخرين ايضاً الكل يشعر بحدوث شرح بين الكنيسة والمؤمنين ولا تتحرون عن السبب! في الوقت الذي يلعب غيركم ممن يطلقون على انفسهم بالمبشرين لعبتهم في الساحة بهمة ونشاط. وهنا لا بد لي ان اعيد الى

البعض من رجالات كنيستنا على انفسهم النزول الى اوطأ المستويات من خلال تأييدهم التحريري او الشفهي لهذه القائمة او تلك من القوائم الانتخابية والمناوئة للكلدان بالذات في هذه الايام جاعلين من الكلدان سلماً يتسلق من خلاله البعض لتحقيق امانيههم وراح البعض منهم يحث الناس في كرازته في قداديس الأحاد ليصوتوا لصالح تلك القوائم فكيف يمكننا تفسير هذه الممارسات؟ هل يفعلونها بوجي او ايعاز من المسيح حاشاه؟ لا بل راح البعض منهم في تصرفاته أبعد من ذلك حيث حثوا الناس للتصويت لقوائم تنفي وجود الدين اصلاً فهل هذا سلوك ديني او قومي مقبول؟ ومن يمكنه القبول به، فمن لا يقبله من منطلق الحرص على دينه وقوميته عليه ان يقول لهم يا ايها السادة: عودوا الى مهامكم ان ناشدتم الاحترام والتقدير من الكلدان، واتركوا الخبز للخبازين واللحم للجزارين كما يقول المثل فاخصاصكم هو مجال الدين وليس السياسة والأ فاعلنوا على الملأ بانكم تركتم الدين وتخصصتم في السياسة لكي نستطيع نحن ايضاً تحديد موقفنا منكم ومعرفة مهامكم ونواياكم اعلموا بانه ليس بإمكان كائن من كان ان يكون فارساً في كل الميادين وفي كل

والاستبداد ومحاكم التفتيش، كما وارىد ان اقول ايضاً لقد غابت شمس اليوم الذي كان الناس يعتقدون فيه بان العلم والثقافة والمعرفة محصورة برجال الدين فقط، فهؤلاء او بعضهم قد يعرفوا شيئاً في مجال ما ولكنهم لا يعرفون كل شيء في مجالات اخرى حالهم حال عامة الناس، هذا من ناحية اما من ناحية اخرى فلسنا نحن من سبب الانقسامات والانشقاقات في جسد الكنيسة والتي على اثرها وعلى اثر الاجتهادات المتباينة ظهرت شتى المذاهب في المسيحية، فلولا حرصى على ايماني وعلى كنيستى وقوميتى من ناحية ولولا معرفتى عن يقين بان ما يفعلونه في المجال القومي هدام ومضر بمصلحة الكلدان لما تطرقت الى هذا الموضوع وعملا بالمثل القائل (الساكت عن الحق شيطان اخرس) ولا يهمنى ردود الفعل عما اعبر عنه بقدر همي في الحرص على القيم والمصالح العليا الدينية والقومية لي ولست على استعداد ان اجامل غيري على حساب الحق وعلى حساب المبادئ السامية التي ورثتها وعرفتها او على حساب قوميتي ولا عار او ملامة على الانسان الذي يشعر بخطأه فيترجع عنه بل على من يشعر به ويستمر عليه والله اعلم بالخفايا والنوايا.

الاذهان قولين للمرحوم غاندي الذين قالهما (لولا المسيحيون لكنت مسيحياً) و (احبوا مسيحكم ولكني اكره مسيحيتكم)، ولم يكن المرحوم غاندي مخطئاً. فهل يا ترى وكنيستنا تعيش تحت هذه الظروف والاضاع وهنا لا اقصد الامنية او السياسية بل الدينية هي بحاجة الى حركة اصلاحية كالتى حدثت في العصور الماضية في اوربا من اجل تصحيح المسيرة ومن اجل اعادة المياه الى مجاريها؟ ذلك من منطلق الايمان والحرص على المسيحية وليس من منطلق التمرد والخروج عن العرف الديني والكنسي الاصيل، هذا العرف وهذه المبادئ العظيمة التي ورثناها وأمانا بها واضطهدنا وما زلنا من اجلها. قد يكون حديثي مخالفاً لآراء البعض وافكار العديد من رجال الدين ولا يتطابق وتوجهاتهم او رغباتهم او قد يتضارب مع مصالحهم، وقد يعتبره البعض تجاوزاً لأنهم تعودوا على السكوت والصمت وعلى الطاعة العمياء سواء كانت لمصلحة المسيحية ام لم تكن وأقولها بكل صراحة ومن منطلق ايماني باننا سنحاسب على سكوتنا ان كان هناك حساب؟ اقول في الوقت ذاته بأننا نعيش في عصر النور وعصر الافصاح والتعبير عن الرأي وليس في عصر الظلمات